

المحور: الادب والفن

بقلم مريم نجمة/ هولندا

تعريف : من هو الفنان فرج عبو ؟



كلما صليت لأمواتنا الأعزاء على قلوبنا , ذكرتُ فقيدنا الغالي أبو فارس – لأنه واحد من الذين أحببناهم ورحلوا عنا مُبكراً , تاركين ذكرى أليمة , وفراغاً فكرياً وإنسانياً لا يعوّض . إنه الأخ , والعم , والصديق , والمربي , إنه الإنسان الرائد والفنان الأصيل فرج عبو .

كان ذلك في إحدى أمسيات شتاء 1982 حيث كنا ما نزال نقيم في فندق بغداد – حين دُعينا لتناول العشاء في منزلهم في حي الكرادة . كان الفضل الأول لهذا التعارف لإبنته الفنانة شذى عبو , صديقة إبنتنا سمر الهامس , في أكاديمية الفنون جامعة بغداد , حيث كان فقيدنا رائداً ومدرّساً قديراً فيها . إنها الزيارة الأولى لمنزل عراقي , والصدّاقة الأولى مع عائلة عراقية . كنت مع عائلتي وزوجي المحامي جريس الهامس في غاية السرور لهذه الزيارة والجلسة اللطيفة مع الأخ الأستاذ ( فرج ) وزوجته الطيبة الكريمة أم فارس , وأبنائه المثاليين شذا وأمال وفارس , بين أشجار النارج والنخيل والورود , وبين لوحاته الفنية وأحاديثه الشيقة التي لا تنسى , والتي لم يبخل بها أن ينقل لنا دوماً عصارة تجاربه الفنية والاجتماعية والتاريخية والأكاديمية , التي استمدها من ثقته بنفسه وبشعبه أولاً , ومن دراسته المعمّقة وجولاته الفنية والمهنية والدراسية , في مختلف الجامعات والعواصم العربية والأوربية .

لقد كان بحق موسوعة علمية وفنية صادقة , وشخصية محترمة , متواضعة وكريمة , أعتز وأعترف , بأنني تعلمت منه الكثير من الرؤية الشمولية للأشياء والألوان والحضارات وأبعادها الكونية . كم شكرت إبنتي سمر على هذه المعرفة والصدّاقة التي امتدت حتى آخر يوم في حياته , حيث كان حتى ساعاته الأخيرة واثقاً بالحياة , وبالانتصار على الموت , وبانتصار العراق الحبيب في معركة الدفاع عن الحدود والأرض والكرامة العربية !؟ رغم تغريبنا عن وطننا نتيجة القهر السياسي في سوريا , كان فقيدنا الغالي وعائلته الكريمة , خير أهل خففوا عنا آلام الغربة القاسية . تباً لك أيها الموت الغادر , كم كنت لثيماً عندما خطفته من بيننا , واللوحة واللون بحاجة لأنامله النظيفة الماهرة , وببدره ما زال مليوناً بالحصاد , ومحطاته الفنية خالدة تدفع قطار التقدم الفني إلى الأمام دوماً .. , لكن هذه هي الحياة تعارف ووداع , موت وحياة !

ثُرى , هل كان يعلم أنه سيغادرنا ليقدم لنا في جلساته الممتعة , أثناء زيارتنا المتبادلة – بعد ان استقرينا في المنزل , عصارة تجربته الغنية في جامعات ومتاحف العالم ومدنه التي نقلها إلى العراق , بريشته المميزة الجريئة , لوناً وأفقاً وابتسامة للغدالمشرق , ومدرسة فنية عراقية , قضى في بنائها أجيال , و العمر كله , نتاج عبقرية ابن الرافدين ( الموصل ) وسليل الحضارة الكلدانية الأشورية .. والسومرية والبابلية والعربية , ممزوجة بمياه دجلة شامخة كقمم الشمال التي عشقها وترعرع بين ربوعها .

في كل مرة , حين كنا نلتقي به نكتشف فيه ناحية جديدة من نواحي عبقرية الفنان , والمؤرخ , والأديب , بكل تواضع وشعبية لحب الناس ( للعامل والفلاح والمرأة ) والبسطاء والأرض والطبيعة , التي خلدها في لوحاته ومعارضه . تجسدت فيه الأصالة والكرم العراقي وحب الضيافة , محافظاً على التراث والجزور , مؤمن بالتجديد والتطور , بأسلوب ومنطق عصري حضاري . يؤمن بالحوار الديمقراطي ويعيشه بدمه ,, , أقدر وأحترم الإنسان بقدر ما يعطي للوطن والشعب , ويساهم في بناء الوطن , وتربية وتهذيب الجيل , لا بمقدار ما في جيبه وماله .

إنه الإنسان الكبير والأستاذ الجليل فرج عبّو - الذي نعزّز بصدافته الخالدة , وصدافة عائلته بكل ما تحمل من ذوق رفيع وأصالة , ومستوى حضاري وإنساني ,, كما لا ننسى دوره الكبير في تشجيع إبنتنا سمر وطموحاتها الفنية سواء في أكاديمية الفنون بجامعة بغداد , أو في المعرضين الذين نظمتها وأقامتهما سمر في الأكاديمية أو في بعض النوادي ,, وكان الأستاذ والأب والمربي يومها قد قدّر لوحاتها وجهداها , وأطلق عليها لقب " عفرية الفن " . بعدما أصبح صديق زوجي المفضل , وصديق العائلة وكثرت اللقاءات والحوارات بيننا , قمنا بزيارتهم في يوم صيفي حار , كان منهماكاً ومتعباً فعلاً , لأنه كان يصمّم ويرسم في مرسمه منذ الصباح لإنهاء جدارية كبيرة ( وضعت فيما بعد في مطار صدام الدولي ) . كان قد أشرف على إنهاء هيكليتها وبدأ بتنفيذ المرحلة الأولى منها , فقادنا للمرسم بفرح لنشاهدها , وقام بشرحها لنا فنياً ولونياً ومعنى – وبالفعل كان هذا العمل قمة العطاء ( التراثي - العصري ) .

فكيف لا ننحني أمام هذه العطاءات الإنسانية والحضارية , التي كثيراً منا , ومن المسؤولين في دولنا العربية , لا يقدر هذه الأعمال والإنجازات في حياة الفنان , بل ربما بعد رحيله مع الأسف ! وأحياناً بعد أن يزور المرء ويشاهد روائع ومتاحف الشعوب والعالم , فيشعر بالتقصير والإجحاف والإستخفاف تجاه مبدعينا وفنانينا بكل ألوان الفنون والثقافة , عندها ينحني أمام عطاءاتهم ويتباهى بهم , وواجب إحترامهم وتقديرهم وتشجيعهم معنوياً ومادياً , لتنمية وتطوير إنتاجهم وأعمالهم التي تنقل و تحكي باللون أفكارهم

وتجاربهم وتطلعاتهم , ليؤكد عملياً أن تشجيع الفنون عامة , هو واحد من عوامل النهضة الفكرية والثقافية والإجتماعية والسياسية , لاي بلد وأي شعب من الشعوب .

وما الفنان فان كوخ , ولوركا , و بابلو نيرودا , وناظم حكمت , ومحمود درويش , وجبران خليل جبران , ونزار قباني وووو غيرهم الكثير الكثير .. , سوى علامة من علامات العبقرية الشعبية وتراثها الأصيل !فبالرغم من أن الفترة التي تعرفنا بها وعشناها معاً قصيرة بالنسبة لعمر الإنسان , لكنها خصبة ومكثفة في التفاعل الفكري والثقافي والإجتماعي والنفسي لكلا العائلتين .

فالحقيقة والتاريخ أقول , بأنني مثلما عرفته فناً مبدعاً وأصيلاً , عرفته متحدثاً بارعاً وإنساناً رقيقاً وعميقاً في التفكير , كنا نشعر أننا أمام ينبوع ثرّ دفاق – أمام موسوعة من المعارف والعلوم – أمام بحر من العطاء والخبرة , والتجربة والتضحية , لا يعرف مكاناً للأناية والتأفف والإستراحة , يفرح بالعطاء والخدمة , فتشعر نفسك أمام حكيم متواضع جليل , سواء في مجال المهنة , أو العلاقات الإجتماعية . في أحد الأيام , زارنا الأستاذ فرج في بيت ( العطيفية ) ووجهه يغمره الفرح , وقدم لزوجي نسختين من كتابه الجديد : علم عناصر الفن – بجزئيه الأول والثاني ( المؤلفين الضخمين ) بألاف الصفحات ,, لقد انكببتُ بشغف لقراءتهما , يوماً كنت أجلس عصراً على الحصيرة في حديقة المنزل , وأنهل وأنهل من معين المعرفة دون ملل , فقد غذيت فكري في مجال ألف باء الفن , وكنت أول من قرأهما , أتساءل كيف أن هذه الأشياء نجهلها بالرغم من علمنا ومطالعائنا وثقافتنا؟! فألف رحمة على جهوده التي بذلها لترى هذه الكتب النور , لتهدى الطريق الفني لشباب الوطن والأجيال الجديدة .

كم كنا نتألم مع هذا الفنان , عندما كان يلاقي الصعوبات بالنسبة لمعاونة المهنة , ومتاعبها , وطبع الكتب وإشكالاتها , ولئن عرفتُ فيه المثابرة والتصميم والهدوء , والعمل الدؤوب مهما كلفه من وقت ومال وجهد صبور ..!؟

كُتِبَ التي أعطها نور عينيه , وعصارة دماغه وفكره , قد شهدت النور , وشاهدها قبل وفاته بسنة واحدة وهذا ما يواسيه ويعوض تعبهُ ,, وأهميتها تعود إلى مرجعها الهام في الفن – وتاريخ الفن . صحيح أنهما دخلوا المكتبة العربية وأغنوها كثيراً بالتراث الفني العراقي , كذلك كان ثمنهم غالياً , ألا وهو أربعون عاماً من حياته المعطاءة , وهو ينسج أجمل وأدق وأكبر مترجم وكتاب عربي وأجنبي , بالإضافة إلى المعاشية والممارسة والإبداع , ليأتي هذا العمل الناضج الضخم الكبير , وقد تكلم بالنجاح في هذه الموسوعة الفنية بجزئيهما الأول والثاني .